«من هو اليهودي الحقيقي؟» (رومية ٢: ١٧-٢٩)

تأليف: دفيد روبر

نواصل {في هذا الدرس} إتهام بولس لليهود. سيكون نص درسنا هذا هو رومية ٢: ١٧-٢٩. لقد درسنا الآيات من ١٧ إلى ٢٤ في الدرس الذي بعنوان «طبعاً أنت لا تقصدني!» ولكننا سنراجع تلك الآيات قبل ما نفحص الآيات التي تتبعها.

وضع بولس التوكيد في هذا النص على ما جعل اليهودي يهودياً. ينتهي هذا النص بالكلمات التالية:

> لأَنَّ الْيَهُودِيَّ فِي الظَّاهِرِ لَيْسَ هُوَ يَهُودِيًّا، وَلاَ الْخِتَانُ الَّذِي فِي الظَّاهِرِ فِي اللَّحْمِ خِتَانًا، بَلِ الْيَهُودِيُّ فِي الْخَفَاءِ هُوَ الْيَهُودِيُّ، وَخِتَانُ الْقَلْبِ بِالرُّوحِ لاَ بِالْكِتَابِ هُوَ الْخِتَانُ، الَّذِي مَدْحُهُ لَيْسَ مِنَ النَّاسِ بَلْ مِنَ اللهِ (الآيتان ٢٨ و٢٩).

تصور ثلاثة أشخاص من الماضي. كلهم يرتدون ملابس بملامح مميزة لليهودي في أيام بولس. يقول الأول: «أنا يهودي حقيقي. لديَّ ناموس موسى». يقول الثاني: «أنا يهودي حقيقي. لديَّ ناموس موسى، وقد أُخْتُتِنْتُ». ويقول الثالث: «أنا يهودي حقيقي. لدي ناموس موسى، ومختتن، ومتعهد في قلبي لله». «من هو اليهودي الحقيقي؟».

الناموس وحده لم يجعل اليهودي حقيقي (٢: ١٧-٢٤)

إسرائيل المادي

يضع معظم اليهود شيئن من بين الأشياء التي تميز يهوديتهم في مقدمة القائمة. الأول هو حقيقة أن الله أعطاهم ناموس موسى (راجع ٣: ١ و٢). تخبرنا رومية ٢: ١٧-٢٤ كيف كان شعور اليهود تجاه الناموس. أتكلوا على الله (الآية ١٧). وكانوا يتعلمون من الناموس (الآية ١٨). كانت لهم «صُورَةُ الْعِلْمِ وَالْحَقِّ فِي النَّامُوسِ» (الآية ٢٠). لهذا كانوا يفتخرون بالناموس (الآية ٢٣).

كان لليهود خرافة تقول أن الله ذهب إلى سبعين أمة وقدم لهم ناموسه، ولكنها جميعاً رفضته. ثم جاء أخيراً إلى جماعة صغيرة تدعى إسرائيل. وعندما قدم لهم الناموس، قالوا: «سنأخذه!». هذه القصة هي مجرد قصة مبتكرة، ولكنها توضح كيف كان اليهود يشعرون عن الناموس الذي لديهم. إذ كانوا حراس الناموس أصبحوا {شعب} خاص! (على كل حال، كما تقول القصة، كانوا هم الأذكياء بما فيه الكفاية ليدركوا قيمته!)

ولكن للأسف، ظن بعض اليهود أن الحصول على الناموس وحده يفي بالغرض. كان لديهم الناموس ولكنهم اخفقوا في حفظه (أي العمل به). قال بولس في الآية ١٣: «... لَيْسَ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ النَّامُوسَ هُمْ أَبْرَارٌ عِنْدَ اللهِ، بَلِ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ بِالنَّامُوسِ هُمْ يُبَرَّرُونَ». ويقول الآن في الآية ٢٣: «{أنت} الَّذِي تَفْتَخِرُ بِالنَّامُوسِ، أَبِتَعَدِّي النَّامُوسَ تُهِينُ اللهَ؟» هذا سؤال بياني بإجابة متضمنة: «نعم أنت تهين الله بتعدي الناموس».

إن امتلاك الناموس لا يكفي على جعله يهودياً حقيقيا.

إسرائيل الروحي

كان كلام بولس هذا موجهاً لليهود الذين بحسب الجسد، ولكن يكون من المناسب تطبيقه على أنفسنا. قال بولس في الأصحاح الرابع أن الذين لهم إيمان إبراهيم (سواء كانوا من اليهود أو الأمم)، انهم نسل إبراهيم الروحي (الآيتان ١٢ و١٦؛ راجع غلاطية ٣: ٢٩). أشار بولس إلى المسيحيين في رسالته إلى

أهل غلاطية بانهم «إسرائيل الله» (٦: ١٥ و١٦).

نحن كإسرائيل روحي لسنا مقيدين بعد بناموس موسى (راجع رومية ٧: ٤)، بل بناموس المسيح (١ كورنثوس ٩: ٢١)، بل «بالنَّامُوسِ الْكَامِلِ نَامُوسِ الْحُرِّيَّةِ» (يعقوب ١: ٢٥). (لو لم يكن لدينا ناموس لما تم إدانتنا كخطاة {راجع رومية ٤: ١٥؛ ٥: ١٣}). لقد أعطانا الله بصفة خاصة العهد الجديد الذي ليسوع (راجع عبرانيين ٩: ١٥-١٧) - ليعلمنا ويوبخنا للتقويم والتأديب (راجع ٢ تيموثاوس ٣: ١٦ و١٧). يا لهذه البركة! كتب جون فاوست ما يلي:

> ما أغلى هذا الكتاب الإلهي،
> بالوحي معطى!
> يضيء كالمصباح وتلمع وصاياه،
> ليرشد نفسي إلى السماء.
> الكتاب الإلهي المقدس!
> كنزي الثمين!
> مصباح لقدميَّ ونور لسبيلي
> ليرشدني بأمان إلى البيت.

ولكن امتلاك الكتاب المقدس فقط، والتغاضي عن وصاياه، يكون بلا فائدة. والأسوأ من ذلك، انه سخيف. يكون مثل إنسان ضل طريقه في البرية، وبحوزته البوصلة ولكنه لا ينظر إليها أبداً ... أو كإنسان مسافر من خلال منطقة غير مألوفة وبحوزته خريطة، ومع ذلك، لا يرجع إليها أبداً ... أو كمسافر يقف عند لافتة تشير إلى الاتجاه الذي يجب له أن يذهب إليه، ولكنه لم يقبل التحرك من ذلك المكان.الحصول على ناموس موسى وحده لا يجعل أحداً يهودياً حقيقيا - والحصول على نسخة من كتاب العهد الجديد لا يجعل أحداً مسيحياً حقيقياً.

الختان وحده لم يجعل اليهودي يهودياً (٢: ٢٥-٢٧)

إسرائيل حسب الجسد

كان الشيء الثاني من حيث الأهمية عند اليهودي للتعريف يهوديته هو الختان. كان الختان هو تعبير عن هوية إسرائيل القومية وملزم لجميع اليهود الذكور. تحول بولس إلى الحديث عن الختان في ما تبقى من الأصحاح ٢.

كلمة «ختان» مترجمة هنا من كلمة يونانية مركبة («پريتومي περιτομή») من كلمة معناها «يقطع» («تمنو τέμνω»[١]) بالإضافة إلى حرف جر («پري περί») معناه «حول». انها تعني حرفياً «القطع حول». وتشير إلى إزالة الغرلة (راجع تكوين ١٧: ١١؛ خروج ٤: ٢٥).

لم يتعب أولياء الأمور اليهود من إخبار أولادهم عن عهد الله مع إبراهيم:

> وَقَالَ اللهُ لإِبْرَاهِيمَ: «وَأَمَّا أَنْتَ فَتَحْفَظُ عَهْدِي، أَنْتَ وَنَسْلُكَ مِنْ بَعْدِكَ فِي أَجْيَالِهِمْ. هذَا هُوَ عَهْدِي الَّذِي تَحْفَظُونَهُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ، وَبَيْنَ نَسْلِكَ مِنْ بَعْدِكَ: يُخْتَنُ مِنْكُمْ كُلُّ ذَكَرٍ، فَتُخْتَنُونَ فِي لَحْمِ غُرْلَتِكُمْ، فَيَكُونُ عَلاَمَةَ عَهْدٍ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ. ابْنَ ثَمَانِيَةِ أَيَّامٍ يُخْتَنُ مِنْكُمْ كُلُّ ذَكَرٍ فِي أَجْيَالِكُمْ: وَلِيدُ الْبَيْتِ، وَالْمُبْتَاعُ بِفِضَّةٍ مِنْ كُلِّ ابْنِ غَرِيبٍ لَيْسَ مِنْ نَسْلِكَ» (تكوين ١٧: ٩-١٢).

لاحظ أن الختان كان «علامة العهد» بين الله وإبراهيم. استخدم بولس لغة مشابهة لما لإبراهيم في رومية ٤: ١١: «وَأَخَذَ عَلاَمَةَ الْخِتَانِ خَتْمًا لِبِرِّ الإِيمَانِ الَّذِي كَانَ فِي الْغُرْلَةِ، لِيَكُونَ أَبًا لِجَمِيعِ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ وَهُمْ فِي الْغُرْلَةِ، كَيْ يُحْسَبَ لَهُمْ أَيْضًا الْبِرُّ».

كان الختان يُمارس عادة في إسرائيل منذ زمان إبراهيم. يقول دوغلاس موو: «أن الأزمة التي حدثت خلال ثورة المكابيين (١٦٠-١٦٦ق.م.) رفعته إلى مستوى جديد من الأهمية» بين الشعب اليهودي. يتم إجراء الختان في يومنا هذا على الأطفال الذكور لأسباب طبية؛ أما بالنسبة لليهود فانه شعيرة دينية تتمتع بقداسة القدم والإكرام الشديد[٢]. «الختان هو العملية

---

[١] لم ترد في كتاب العهد الجديد الفعل «تمنو τέμνω» المجرد، بل ترد دائماً بحرف جر.

[٢] كان الختان شيء هام جداً لليهود بحيث أصبح مشكلة كبيرة في الكنيسة المبكرة. كان بعض اليهود المسيحيون يصرون على انه ينبغي للمسيحيين الأمم أن يُختتنوا (راجع أعمال ١٥: ١).

الجراحية التي تميز اليهودي الذكر بانه يهودياً». كان اليهود يسمون أنفسهم بفخر «أهل الختان»، ويسمون الأممي بال «أغلف» (راجع ٣: ٣٠).

قد نرى أهمية الختان في الفكر اليهودي من أقاويل معلمي اليهود غير الموحى بها: «سيشارك جميع المختتنين في العالم الآتي»؛ «الختان يخلص اليهودي من جهنم». لا تعبر هذه الأفكار عن الاهتمام بإطاعة الله او عدم إطاعته؛ بل تعتبر أن الختان يكفي لضمان الحياة الابدية مع الرب.

أظهر بولس في رومية أن الختان وحده لا يجعل اليهودي يهودي حقيقي، على عكس ما كان يعلمه بعض المعلمين اليهود. بدأ بعبارة: «فَإِنَّ الْخِتَانَ يَنْفَعُ ...» (الآية ٢٥). كان الله قد بارك اليهود ببركات روحية معينة (راجع ٣: ١ و٢). بما ان الختان كان من الضروري حتى يكون اليهودي {الذكر} يهودياً، كان لذلك منفعة

ضاف بولس بعد ذلك الكلمة الصغيرة «إِنْ» قائلاً: «إِنْ عَمِلْتَ بِالنَّامُوسِ» (٢: ٢٥). لم يُقصد أن يكون الختان بحد ذاته النهاية. كان ذلك علامة بان الشخص في علاقة عهدية مع الله – ولكن كان ينبغي بعد ذلك أن يكون المختون ملتزماً بتتميم العهد (راجع غلاطية ٥: ٣). ولكن للأسف استخدم اليهود الختان كبديل للطاعة.

ماذا إذا اخفق المختتن في العمل بالناموس؟ قال بولس: «... وَلكِنْ إِنْ كُنْتَ مُتَعَدِّيًا النَّامُوسَ، فَقَدْ صَارَ خِتَانُكَ غُرْلَةً!» (رومية ٢: ٢٥). كم كانت تلك الكلمات مذهلة لليهودي: صيرورة الختان غرلة شيء لا يمكن التفكير به! طبعاً لم يكن بولس يشير إلى إعادة العملية الجراحية إلى الحالة التي كانت قبلها. بل قصد انه إن لم يتمم اليهود عهدهم مع الله، فانهم يتصرفون بذلك كما لو لم يكونوا قد نالوا علامة العهد. انه شيء بغيض عندما يؤدي الشخص قسم الزواج مع عروسه ثم يتصرف كما لو لم يكن متزوجاً. انه من المبغض عندما يوقع الشخص عقداً دون أن يكون نية بتتميمه. كم هو مخزي عندما يصنع الإنسان عهداً مع الله ومن ثم يتجاهله!

إذا كان «المختتن» يصير «غرلة»، يكون هناك احتمال اعتبار «المختتن غرلة». استمر بولس قائلاً: «إِذًا إِنْ كَانَ الأَغْرَلُ يَحْفَظُ أَحْكَامَ النَّامُوسِ، أَفَمَا تُحْسَبُ غُرْلَتُهُ خِتَانًا؟» (الآية ٢٦).

تحدث بولس عن هذا الشخص الأغرل بانه «يحفظ أحكام الناموس» (الآية ٢٦). الفعل المترجم هنا إلى «يحفظ» («فولاسو φυλάσσω») معناه «يحرس»، «يحفظ عن طريق الحماية». ومعناها في هذه الآية «يحرس» الناموس يحفظه من التعدي، أي بعبارة أخرى، العمل بمبادئه. كلمة «أحكام» مترجمة من الكلمة «ديكايوماتا δικαιώματα» ومعناها هنا «متطلبات الناموس العادلة».

رأينا قبل عدة آيات كلام بولس بان الأمم «فَعَلُوا بِالطَّبِيعَةِ مَا هُوَ فِي النَّامُوسِ» (الآية ١٤). لم يكن لديهم ناموس مكتوب من الله، ولكن كان لديهم مفهوم ما هو صحيح وما هو خطأ، ويعملون بالمباديء الاخلاقية تشبه تلك التي وردت في ناموس موسى.

أشار بولس الآن إلى مثل هؤلاء الأشخاص ليثبت أن الختان الجسدي بحد ذاته لا يكفي: «إِذًا إِنْ كَانَ الأَغْرَلُ يَحْفَظُ {بالطبيعة} أَحْكَامَ النَّامُوسِ، {مع انه ليس لديه ناموس مكتوب}، أَفَمَا تُحْسَبُ غُرْلَتُهُ خِتَانًا؟» (آية ٢٦). (سنرى أن كلمة «يحفظ» هي كلمة رئيسية في الأصحاح ٤).

قال جون أر دبليو سكوت أنه قد يتم تفسير توكيد بولس المضاعف على انه كسؤالين بسيطين:

ختان – طاعة = غرلة
غرلة + طاعة = ختان

أقول مرى أخرى كم هي غريبة هذه المفاهيم لليهودي! ولكن لم يكن بولس قد انهى كلامه المقلق هذا.

تبدأ الآية ٢٧ هكذا: «وَتَكُونُ الْغُرْلَةُ الَّتِي مِنَ الطَّبِيعَةِ، وَهِيَ تُكَمِّلُ النَّامُوسَ ...». لم يكن الأمم يطيعون ناموس موسى (الذي لم يكن لديهم)؛ ولكنهم إذ كانوا يعيشون بحسب سلوك اخلاقي مماثل تمموا أحد أهداف الناموس.

قال بولس بخصوص الأممي الذي يحفظ الناموس: «وَتَكُونُ الْغُرْلَةُ الَّتِي مِنَ الطَّبِيعَةِ، وَهِيَ تُكَمِّلُ النَّامُوسَ،

تَدِينُكَ أَنْتَ {اليهودي} الَّذِي فِي الْكِتَابِ وَالْخِتَانِ تَتَعَدَّى النَّامُوسَ؟» (آية ٢٧). ههنا مفاجأة أخرى! اعتبر اليهود أنفسهم كحكام مناسبين للأمم (راجع ٢: ١ و٣)، ولكن قال بولس أن الأم الناس الذين يعملون ما هو قويم سيدينون («كرينو κρίνω») اليهود الذين لا يعملون ما هو قويم! «الإدانة المشار إليها هنا ... هو إدانة المقارنة غير المباشرة»[٢] (كما أن رجال نينوى «سيدينون» الذين لم يقبلوا يسوع {متى ١٢: ٤١}).

إذا كان الأمم الذين لم يكن لديهم شريعة في الكتاب يستطيعون حفظ أحكامها، فلا شك أن اليهود الذين كان لديهم الناموس في الكتاب يستطيعون أن يعملوا الشيء نفسه! أذكر ولداً مراهقاً كان يشكو من مهمة أُوكلت إليه: «هذا شيء صعب» - فيجيب أباه: «أنظر إلى ذلك الشاب. انه أصغر منك بكثير وهو يعمله!» يا للاحراج!

أريد تصحيح بعض الافكار المغلوطة عن الآيات ٢٥ إلى ٢٩. يصر بعض المفسرين أن هدف بولس في هذه الآيات كان التعليم بان الختان لم يكن له أي عاقبة، وبانه لم يكن هناك فرق سواء كان الشخص مختتن أم لا. صحيح أنه ليس للختان في يومنا هذا أهمية روحية (١ كورنثوس ٧: ١٩؛ غلاطية ٥: ٦؛ ٦: ١٥)، ولكن أرجو أن تتذكر أن خلفيه كلام بولس كان عن الترتيبات التي وضعها الله لليهود والأمم قبل مجيء المسيح. لم يتطلب من الأمم الختان بموجب تلك الترتيبات، ولكن كان لا بد أن يتم إختتان اليهودي. إذا لم يختتن اليهودي الذكر لا يمكنه الاحتفال بالفصح (راجع خروج ١٢: ٤٨) ولا الدخول إلى الهيكل (حزقيال ٤٤: ٩)؛ بل يجب أن يقطع من شعبه: «وَأَمَّا الذَّكَرُ الأَغْلَفُ الَّذِي لاَ يُخْتَنُ فِي لَحْمِ غُرْلَتِهِ فَتُقْطَعُ تِلْكَ النَّفْسُ مِنْ شَعْبِهَا. إِنَّهُ قَدْ نَكَثَ عَهْدِي» (تكوين ١٧: ١٤). كتب موسس إي لارد ما يلي:

> ... لا يجب أن نتغاضى عن الفرق هنا. عدم اختتان اليهودي لم يكن مثل عدم إختتان الأممي. إذا لم يختتن اليهودي يكون قد انتهك عهد الله، ولكن لم يكن الحال هكذا مع الأممي. ولكن بعد ما يختتن اليهودي لا يكون لختانه اية منفعة إن لم يحفظ الناموس.

يمكن التعبير عن تعليم بولس هذا بالطريقة التالية: من لم يكن له «علامة العهد» ولكنه حفظ العهد يكون في حالة روحية أفضل من الذي له «علامة» العهد ولم يحفظ ذلك العهد. هل يفيد تقديم مثال من الكتاب المقدس على هذا الحق؟ تأمل في كرنيليوس قائد المئة الأممي (أعمال ١٠: ١ و٢) الذي لم يكن له «علامة» الختان. قارن شخصيته مع شخصية قيافا رئيس الكهنة اليهودي (متى ٢٦: ٣، ٤، ٥٧، ٦٢-٦٨) الذي كان له علامة الختان. إن امتلاك الشخص للناموس واختتانه لا يجعل منه يهودياً حقا.

إسرائيل الروحي

نحن كإسرائيل روحي يمكننا أن نتعلم من كلام بولس لليهود. كان اليهودي يظن أن ممارسة طقوس ما تضمن علاقة قويمة مع الله. هل كان هناك قيمة من امتلاك الناموس؟ نعم، كانت هناك قيمة (راجع رومية ٣: ١ و٣). هل كان ينبغي لليهودي الذكر أن يختتن؟ طبعاً. لم يكن باستطاعته أن يكون يهودياً بدون أي من هذين. ولكن هل كان يمكن لامتلاك الناموس والختان أن يكونا بديلا عن طاعة الله؟ كلا!

نحن الذين نحاول إعادة مسيحية العهد الجديد نعمد الناس الذين بلغوا سن المسؤولية بالتغطيس في الماء لمغفرة الخطايا. ونتناول عشاء الرب في أول يوم في الأسبوع. وعند العبادة نرنم بدون استخدام آلات موسيقية. هل هناك أهمية لكل هذا؟ نعم لكل هذا أهمية. كيف نقول اننا كنيسة الرب ولا نعمل هذا؟ ولكن أيمكن أن يكون هذا بديل لإطاعة وصايا الرب الأخرى - مثل الوصايا التالية؟

> «أَيُّهَا الأَحِبَّاءُ، لِنُحِبَّ بَعْضُنَا بَعْضًا ...» (١ يوحنا ٤: ٧).

> «فَإِذًا حَسْبَمَا لَنَا فُرْصَةٌ فَلْنَعْمَلِ الْخَيْرَ لِلْجَمِيعِ ...» (غلاطية ٦: ١٠).

[٢] جي دبليو مكغارفي وفيلب واي پندلتون في تفسيرهما بعنوان «Thessalonians, Corinthians, Galatians and Romans»، صفحة ٣١٦.

«وَكُونُوا لُطَفَاءَ بَعْضُكُمْ نَحْوَ بَعْضٍ، شَفُوقِينَ مُتَسَامِحِينَ ...» (أفسس ٤: ٣٢).

«إِنْ كَانَ مُمْكِنًا فَحَسَبَ طَاقَتِكُمْ سَالِمُوا جَمِيعَ النَّاسِ» (رومية ١٢: ١٨).

«فَاذْهَبُوا وَتَلْمِذُوا جَمِيعَ الأُمَمِ ...» (متى ٢٨: ١٩).

كلا! لكي يكون الشخص «مسيحي حقيقي» ينبغي له أن يكون جاد في العمل بجميع ما أوصى به الرب.

التعهد لله من القلب هو الذي يجعل {اليهودي} «يهودي حقيقي» (٢: ٢٨ و٢٩)

كان كلام بولس الراديكالي ذلك يؤدي إلى ما قد يعتبره الكثير من اليهود «تعريفاً جديداً» لـ«يهودي». تبدأ رومية ٢: ٢٨ هكذا: «لأَنَّ الْيَهُودِيَّ فِي الظَّاهِرِ لَيْسَ هُوَ يَهُودِيًّا ...». ترجمت كلمة «الظاهر» في هذه الآية من ثلاث كلمات يونانية («إن تو فانيرو εν τῷ φανερω») ومعناها: «في العراء/ عالمكشوف» أي ما يظهر للعيان. وتشير هنا إلى الشعائر والطقوس والتعبيرات الخارجية الأخرى التي يتمسك بها كل يهودي. «... وَلاَ الْخِتَانُ الَّذِي فِي الظَّاهِرِ فِي اللَّحْمِ[٤] خِتَانًا» (الآية ٢٨).

إذا كانت التعبيرات الظاهرية/الخارجية لم تجعل اليهودي يهودياً، فما الذي يجعله يهودياً؟ قال بولس: «بَلِ الْيَهُودِيُّ فِي الْخَفَاءِ هُوَ الْيَهُودِيُّ، ...» (الآية ٢٩). كلمة «الخفاء» هنا مترجمة أيضاً من ثلاث كلمات يونانية («إن تو كروبتو εν τῷ κρυπτω»)؛ ومعناها «في السر» – أي ما لا يُرى[٥].

استمر بولس قائلاً: «... وَخِتَانُ الْقَلْبِ بِالرُّوحِ لاَ بِالْكِتَابِ هُوَ الْخِتَانُ ...» (الآية ٢٩). لم يكن هذا التوكيد شيء جديد يسمعه اليهود. كان كُتَّاب العهد القديم قد شددوا على أهمية «القلوب المختتنة» (راجع تثنية ٣٠: ٦؛ لاويين ٢٦: ٤١؛ إرميا ٩: ٢٥ و٢٦؛ حزقيال ٤٤: ٧ و٩). أوصى موسى الإسرائيليين قائلاً: «فَاخْتِنُوا غُرْلَةَ قُلُوبِكُمْ، وَلاَ تُصَلِّبُوا رِقَابَكُمْ بَعْدُ» (تثنية ١٠: ١٦). قدم إرميا الرسالة التالية من الله: «اخْتَتِنُوا لِلرَّبِّ وَانْزِعُوا غُرَلَ قُلُوبِكُمْ يَا رِجَالَ يَهُوذَا وَسُكَّانَ أُورُشَلِيمَ، لِئَلاَّ يَخْرُجَ كَنَارٍ غَيْظِي، فَيُحْرِقَ وَلَيْسَ مَنْ يُطْفِئُ، بِسَبَبِ شَرِّ أَعْمَالِكُمْ» (إرميا ٤: ٤).

كان الختان الجسدي هو إزالة الغرلة. اما الختان الروحي فهو إزالة الشر والتعدي من القلب – لكي يتعهد الإنسان بإطاعة ربه. يشمل الختان الجسدي عملية جراحية، بينما يتطلب ختان القلب «... عملية روحية ...».

وكان ختان القلب هذا يتم «بِالرُّوحِ لاَ بِالْكِتَابِ» (رومية ٢: ٢٩). تشير كلمة «الكتاب» هنا إلى الشريعة المكتوبة، والمقصود بها هنا ناموس/شريعة موسى.

أُجْرِيَ التباين بين «الكتاب» و«الروح» («پنوما πνευμα»[٦]). يظن البعض أن الروح هنا هو روح الإنسان بينما يظن آخرون أنه روح الله/الروح القدس. إذا كان المقصود هو روح الإنسان فربما يكون المقصود هو أن الختان مسألة القلب، وهي روحية وليس بالمعنى الحرفي {أي ليس قطع الغلفة بالمعنى الحرفي}.

إذا كان المقصود هو روح الله/الروح القدس فربما كان بولس يشدد على أن ختان القلب عملية إلهية وليست عملية بشرية. (الكلمة «بالروح» بالنسبة لليهودي معناها «روح الله». فكرة وجود أقنوم آخر يُسمى الروح القدس هي عقيدة العهد الجديد وليست عقيدة العهد القديم)[٧]. عبر يوجين پترسون عن هذا بالطريقة التالية: «أن ما يجعل اليهودي يهودياً هو علامة الله في قلبه وليس السكين في الغرلة».

قال ليون موريس انه ما إذا كان المقصود بالروح هو روح الإنسان أم روح الله، لكل منهما مفهوم جيد. وما أراد بولس توضيحة في أي من الحالتين هو أنه قد

---

[٤] كلمة «اللحم» في هذه الآية معناها ببساطة «مادي/جسدي»؛ ولكن هذه الكلمة أستخدمت بعدة طرق في الرسالة إلى أهل رومية، كما سنرى في وقت لاحق من سلسلة الدروس هذه.

[٥] تُرجمت صيغة الجمع من كلمة «كروپتو κρυπτῷ» إلى «سرائر» {أي «خفايا»} في رومية ٢: ١٦.

[٦] قد تكون لكلمة عدة معاني، ولكنها تعني هنا «روح». سنتحدث بالمزيد عن هذه الكلمة في درس قادم.

[٧] تحدث بولس في وقت لاحق من الرسالة إلى أهل رومية (وخاصة في الأصحاح الثامن) عن عمل الروح القدس في حياة المسيحيين؛ ولكنه يتحدث في الأصحاح الثاني عن عمل الله في قلوب اليهود.

يكون هناك الكثير من الخضوع للمتطلبات الخارجية للناموس التي لا تعبر بالمقصود. إذا كان هناك رجل يهودي مختتن في الجسد ولكنه لا يطيع من قلبه، لا تكون لختانه منفعة.

استخلص بولس قائلاً: «الَّذِي مَدْحُهُ لَيْسَ مِنَ النَّاسِ بَلْ مِنَ اللهِ» (آية ٢٩). يمجد الناس ما يرونه، ولكن الله يمجد ما لا يُرَى: ختان القلب (راجع ١ صموئيل ١٦: ٧). الذين يحبون الرب لا يعيشون حياتهم لكي يمدحهم الناس، بل من أجل مدح الله (رومية ٢: ٢٩).

يظن البعض أن بولس لعب بالألفاظ في نهاية الآية ٢٩. أتت كلمة «يهودي» من كلمة «يهوذا» التي تعطي فكرة «مجد» (راجع تكوين ٢٩: ٣٥؛ ٤٩: ٨). إذاً قد تُفيد كلمة «يهودي» بان معناها «المُمَجَّد». إن لم يكن قلب المُمَجَّد مختتن فانه يجد المجد من الناس فقط وليس مجد من الله.

كان اليهودي الحقيقي هو من يقول «لديَّ ناموس موسى، وقد أُخْتُتِنْتُ، وكرستُ قلبي لله»، بالنسبة لبولس هذ هو نوع اليهودي الحقيقي.

إسرائيل الروحي

كان بولس يقصد اليهودي الطبيعي عندما كتب ما ورد في رومية ٢: ٢٨ و٢٩. كان يقول بهذا المعنى: «قد تسمي نفسك يهودي، ولكن لست يهودياً حقيقياً حتى تكون واحداً في الداخل والخارج». ولكن يحتمل أنه كان يتوقع تعليم لاحق في هذه الرسالة بان المسيحيين هم نسل إبراهيم الروحي (راجع ٤: ١٢ و١٦). على سبيل المثال، إذا كانت كلمة «الروح» المذكورة في الآية ٢٩ تشير إلى الروح القدس، فقد يعني هذا اكثر بكثير للمسيحيين مما يعنيه لليهود. علاوة على ذلك، نعلم أن بولس أشار إلى المسيحيين في رسالة كتبها في وقت لاحق على انهم «الختان الحق» (فيلبي ٣: ٣[٨]؛ راجع كولوسي ٢: ١١)[٩].

سواء كان بولس يقصد أيضاً إسرائيل الروحي أم لا، يجب علينا نحن المسيحيين أن نتعلم الدرس الذي علمه للإسرائيل الطبيعي، وهو: العمل بالطقوس الخارجية لا يفي بالغرض أبداً؛ لا بد من حدوث شيء في القلب. على سبيل المثال، قد يتم تعميد الشخص في الماء ولكنه إن لم يطع من القلب (رومية ٦: ١٧ و١٨؛ راجع الآيتين ٣ و٤) لا تكن معموديته شيء غير انه ابتل بالماء. قد يتناول الشخص العشاء الرباني (تناول الفطير والشرب من ثمر الكرمة)، ولكنه إن لم يتأمل في ما يرمزان إليه، فانه بذلك «يَأْكُلُ وَيَشْرَبُ دَيْنُونَةً لِنَفْسِهِ» (١ كورنثوس ١١: ٢٩؛ راجع الآيات ٢٣-٣٠). قد يرتل الشخص ترتيلة ما بدون استخدام آلات موسيقية، ولكن إن لم يرتل «بالرُّوحِ، و... بِالذِّهْنِ أَيْضًا» (١ كورنثوس ١٤: ١٥)، لا يكون ذلك غير تمتمة. قد يتحدث الشخص بفصاحة ويعمل بالجد والنشاط ويعطي بسخاء، ولكنه إذا فعل كل هذا بدون محبة في قلبه، فانه لا يستفيد شيء (راجع ١ كورنثوس ١٣: ١-٣). لكي نكون «مسيحيين حقيقيين» لا يجب أن نعمل ما هو قويم فحسب، بل أيضاً يجب أن نعمله من القلب.

لاحظ انني قلت «ليس ... فحسب» و«بل أيضاً». يجب أن يكون داخل الإنسان وخارجه قويمان حتى يرضي الله. يسيء البعض استخدام ما ورد في الرسالة إلى أهل رومية ٢: ٢٨ و٢٩ ليعلم أنه سواء كان الشخص قويم «بالخارج» أم لا، هذا غير ذو أهمية، بل الداخل هو الأهم. على سبيل المثال، يشدد البعض على أن الرسالة الأساسية لما ورد في رومية ٢: ٢٨ و٢٩ هي «الكتاب مقابل الروح». استخلص هؤلاء أن «الكتاب» (أي ما يقوله الكتاب المقدس حقاً) لا عاقبة له وأن كل ما في الأمر هو «روح الناموس» (الدوافع السليمة). هل علم بانه «ليست هناك عواقب» سواء كان اليهودي في زمان العهد القديم مختتن أم لا؟ كلا! كان معلوماً أنه لا بد من إختتان اليهودي الذكر. كان هدف بولس هو وضع التوكيد على أن الختان الجسدي وحده لا يفي بالغرض، بل يحتاج اليهودي أيضاً إلى ختان القلب.

يستخدم آخرون ما ورد في رومية ٢: ٢٨ و٢٩ كفرصة لمهاجمة تعليم الكتاب المقدس عن مكان المعمودية في خطة الله {لخلاص البشر}. بما انه لم

---

[٨] ترجمة كتاب الحياة. جميع الحقوق محفوظة ١٩٨٨. الطبعة السادسة ١٩٩٥.

[٩] توضح نصوص كثيرة {في العهد الجديد} أن الكنيسة هي «إسرائيل الروحي».

يرد ذكر المعمودية في هذا النص، فاحتمال حدوث مثل هذا التطبيق ياتي تلقائيا. إذا أردت معرفة ما يعلمه الكتاب المقدس عن موضوع ما، أذهب إلى النصوص التي ذكرت ذلك الموضوع، وليس إلى النصوص التي لا تذكره. لكي تعرف ما كتبه بولس عن المعمودية، أذهب إلى رومية ٦: ٣-٧ أو غلاطية ٣:٢٦ و٢٧، وليس إلى رومية ٢: ٢٨ و٢٩. ومع ذلك، يبذل البعض الجهد لنفي أهمية المعمودية باستخدام ما ورد في رومية ٢: ٢٨ و٢٩.

يستخدم البعض حجة عامة ذات صلة بوجهة النظر عن «الكتاب مقابل الروح» التي قد تحدثنا عنها. يصرون على أن المعمودية جزء من «ما ورد في الكتاب» وبهذا لا تكون ذات أهمية كبرى. يستخلصون بانه «إذا كان روح (قلب) الإنسان مستقيم، فهذا غير ذات أهمية كبرى». المشكلة بهذه الحجة هي أنه لا يوجد في الآيتين ٢٨ و٢٩ ما يشير إلى أن بولس كان يفكر بمثل هذه الخلاصة. علم بولس أن المعمودية جزء ضروري في خطة الله لفداء الإنسان كما سنرى ذلك عند دراستنا للأصحاح ٦ من الرسالة إلى أهل رومية.

يستخدم آخرون حجة محددة أكثر، إذ يحاولون التسوية بين الختان والمعمودية. يقدمون حجج كالآتي:

- ولادة الشخص في أسرة يهودية هي ما تجعل اليهودي الذكر يهودياً. الختان بعد ثمانية أيام من الولادة كان مجرد علامة (أو ختم) الذي يبين انه يهودي (راجع رومية ٤: ١١). إذاً لم يكن للختان علاقة بكونه ابناً لله.
- هكذا أيضاً «الولادة الثانية» (يوحنا ٣: ٣) – التي يقولون انها تتم بالإيمان فقط – هي ما يجعل الشخص ابناً لله. (يشير البعض إلى المعمودية بانها «علامة خارجية للتطهير الداخلي»). لهذا يقولون انه ليست للمعمودية علاقة بكون أن الشخص ابناً لله.

تحتوي هذه المعادلة على أخطاء كثيرة جداً بحيث لا يدري الشخص بسهولة من أين يبدأ الحل. لا يعلم الكتاب المقدس أن الولادة الجديدة «بالإيمان وحده». قال يسوع انه لا بد أن نُوْلَد: «مِنَ الْمَاءِ وَالرُّوحِ» (يوحنا ٣: ٥). كانت هناك موافقة عامة في القرون الأولى من تاريخ الكنيسة بان كلمة «الماء» الواردة في إنجيل يوحنا ٣: ٥ تشير إلى ماء المعمودية. قال بطرس لقُرَّاءِه بانهم عندما يطيعوا الحق يولدون ثانية (١ بطرس ١: ٢٢ و٢٣). علاوة على ذلك، لم يذكر الكتاب المقدس أبداً أن المعمودية «علامة» ولا «ختم» ولا علاقة لها بالخلاص. بل قال يسوع: «مَنْ آمَنَ وَاعْتَمَدَ خَلَصَ، وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ يُدَنْ» (مرقس ١٦: ١٦). وقال بطرس: «تُوبُوا وَلْيَعْتَمِدْ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ عَلَى اسْمِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ لِغُفْرَانِ الْخَطَايَا ...» (أعمال ٢: ٣٨).

لنركز على المحاولة لمساواة المعمودية بالختان. أية محاولة للمقارنة بين المعمودية والختان قد تؤدي إلى الامعقول. كان اليهود هم وحدهم الذين يختتنون، فهل يجب أن نعمد اليهود وحدهم؟ كان الذكور وحدهم الذين يُختتنون، هل يجب أن نعمد الذكور وحدهم؟ كان الأطفال هم الذين يُختتنون بصفة عامة، أيجب أن نعمد الأطفال؟ (يحاول البعض استخدام حجة الـ«ختان + معمودية» لتبرير ما يسمونها «معمودية» الأطفال).

هناك نص واحد فقط في الكتاب المقدس بحسب علمي يستخدم مثال الختان في علاقة مع المعمودية. كتب بولس ما يلي إلى الكنيسة التي في كولوسي:

> وَبِهِ {أي بالمسيح} أَيْضًا خُتِنْتُمْ خِتَانًا غَيْرَ مَصْنُوعٍ بِيَدٍ، بِخَلْعِ جِسْمِ خَطَايَا الْبَشَرِيَّةِ، بِخِتَانِ الْمَسِيحِ. مَدْفُونِينَ مَعَهُ فِي الْمَعْمُودِيَّةِ، الَّتِي فِيهَا أَقِمْتُمْ أَيْضًا مَعَهُ بِإِيمَانِ عَمَلِ اللهِ، الَّذِي أَقَامَهُ مِنَ الأَمْوَاتِ. وَإِذْ كُنْتُمْ أَمْوَاتًا فِي الْخَطَايَا وَغُلْفَةِ جَسَدِكُمْ، أَحْيَاكُمْ مَعَهُ، مُسَامِحًا لَكُمْ بِجَمِيعِ الْخَطَايَا (كولوسي ٢: ١١-١٣).

المعمودية (التغطيس في الماء) هي عمل بشري بينما الختان الروحي (الذي يشمل غفران الخطايا) هو عمل إلهي. يحدث الختان الروحي نتيجة لمعمودية الشخص، أي في اللحظة التي يعتمد فيها الشخص – ولكن هاتان العمليتان مختلفتان عن بعضهما.

لم يتم الحديث عن المعمودية أبداً بانها علامة

الخلاص أو ختم الخلاص، الروح القدس الساكن فينا هو العلامة والختم. قال بولس للمسيحيين بان الله «خَتَمَنَا أَيْضًا، وَأَعْطَى عَرْبُونَ الرُّوحِ فِي قُلُوبِنَا» (٢ كورنثوس ١: ٢٢). وكتب إلى أهل أفسس قائلاً: «الَّذِي فِيهِ {أي في المسيح} أَيْضًا أَنْتُمْ، إِذْ سَمِعْتُمْ كَلِمَةَ الْحَقِّ، إِنْجِيلَ خَلاَصِكُمُ، الَّذِي فِيهِ أَيْضًا إِذْ آمَنْتُمْ خُتِمْتُمْ بِرُوحِ الْمَوْعِدِ الْقُدُّوسِ، الَّذِي هُوَ عُرْبُونُ مِيرَاثِنَا ...» (أفسس ١: ١٣، ١٤). ننال «ختم» الروح القدس عندما نطيع الرب ونعتمد (أعمال ٢: ٣٨؛ راجع ٥: ٣٢). لو كان عليَّ أن أحاول تعيين علاقة بين ما يجعل الإنسان يهودياً وما يجعله مسيحياً، قد تكون كما يلي:

- الولادة في أسرة يهودية يجعل اليهودي الذكر يهودياً. وكان الختان هو العلامة أو الختم الذي يشير انه يهودياً.
- الولادة الجديدة (التي تشمل المعمودية في الماء، يوحنا ٣: ٥) تجعل الشخص مسيحياً. عندما يولد الشخص ولادة ثانية، يُعطى له الروح القدس (أعمال ٢: ٣٨) كعلامة أو ختم يدل على انه مسيحي (راجع رومية ٨: ٩).

هذا التشابه غير كامل طبعاً. بالإضافة إلى الحقيقة أن الختان كان لليهود الذكور يوجد هذا الفرق: ككقاعدة عامة كان الختان الجسدي يتم بعد ثمانية أيام من الولادة الطبيعية، بينما يعطينا الله الروح القدس في الوقت الذي نولد فيه من الماء والروح، وليس بعد ثمانية أيام من المعمودية. ومع ذلك، هناك تشابه بين هاتين العمليتين.

لقد أخذنا وقتاً كافياً في الهامش لنرى ما لا يعلمه صُلب درسنا هذا. أرجو ألا تنسى ما يعلمه. الختان في الجسد لم يكن كافياً لليهودي لكي يكون «يهودي حقيقي»، كان عليه أن يختتن في قلبه أيضاً. كان يجب أن يثبت قلبه على الرب. كان عليه أن يكرس نفسه له. هكذا أيضاً لكي نكون «مسيحيين حقيقيين»، لا يجب أن نكون «مستقيمين» في الخارج فحسب، بل يجب أيضاً ان نكون «مستقيمين» من الداخل.

لقد تعهدت بنفسي لتجديد مسيحية العهد الجديد. إحدى جوانب هذا التجديد هو الظاهري: علينا أن «نعمل بما ورد في الكتاب المقدس بالطريقة التي يعلمها الكتاب المقدس». وفي الوقت نفسه، أدري بالخطر المحدق دائماً بما يختص بوضع التوكيد على الظاهري إلى حد إهمال الداخلي. على كل حال، تجديد أشكال مسيحية القرن الأول أسهل من تجديد الروح. لهذا أقول أيضاً انه لكي نكون «مسيحيين حقيقيين» يجب ألا نكون «مستقيمين» في الخارج فحسب، بل أيضاً يجب أن نكون قويمين من الداخل!

الخلاصة

أرجو ألا تنسى هدف بولس العام في هذا الجزء من رسالته هذه. لقد وضع كل ما قاله في الحسبان، بطريقة ما أو بأخرى، لتبكيت اليهود على الخطيئة - لكي يقنعهم بانهم يحتاجون إلى المسيح يسوع. استجاب بولس في رومية ٣: ١-٨ على اعتراض يحتمل أن اليهود قدموه.

في الختام، لنرجع مرة أخرى إلى السؤال: «من هو اليهودي الحقيقي؟» غير انني أحول هذا السؤال لأقول «من هو المسيحي الحقيقي؟» لو كان هذا السؤال قد طرح أمام جماعة تعرفك (يعرفونك داخلياً وخارجياً)، هل ستقول انك «مسيحي حقيقي». إذا كانت لديك «حاجة خارجية» أو «حاجة داخلية»، أناشدك أن تجد لها حلاً اليوم! تعال إلى المسيح، ودع دمه يطهرك من كل خطيئة! (راجع غلاطية ٣: ٢٦ و٢٧؛ رومية ٦: ٣-٧؛ كولوسي ١: ١٤؛ ١ يوحنا ١: ٧ و٩).

جميع الحقوق محفوظة ٢٠٠٩